لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٤)

صفة المؤمن والمؤمنة

رمزي

للعالم الزاهد الواعظ أبي الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميمي
المعروف بـ (ذي النون المصري)
المتوفى سنة ٢٤٥ هـ

اعتنى به
رمزي سعد الدين دمشقية

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

صفة المؤمن والمؤمنة


بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، والصلاة والسَّلام على المبعوث رحمة للأنام، وعلى آله البَرَرَة الكرام، وصحابته الهُداة الأعلام، ومَنْ تبعهم من أهل الإيمان والإسلام.

أما بعد، فها هي تكرُّ الليالي والأيام، ونعود لنجتمع بإخوة أحبة فِخَام، من أهل الجزيرة والمغرب والشام، في رِحَاب بيت الله الحرام، نتذاكر في العلم ونشحذ الأفهام، في جو أخوة ومحبة ووئام.

فالحمد لله على هذا الإكرام، ونسأله عز وجل أن يمنَّ علينا بمثله في قادم الأعوام، وأن يختم لنا بالحسنى ويدخلنا الجنة بسلام.

فبين يدينا رسالة لطيفة مختصرة، بليغة مبتكرة، لأحد أئمة الوعظ في عصره، أعني به العالم الزاهد ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المعروف بذي النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥هـ رحمه الله، وهي بعنوان: «صفة المؤمن والمؤمنة».

وهي كلمات قليلة وتعابير وجيزة حوت معاني كثيرة في صفاتٍ على المؤمن أن يتحلى بها، ويتخلق بمعانيها ويتزين بمراميها، وهي بمجملها مستمدة في الغالب من مَعِين كتاب الله الكريم والسنَّة النبوية المطهرة، صاغها المؤلف بعبارات مسجوعة ومعاني متقابلة، تسر القارىء وتؤنس السامع.

والرسالة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق المحروسة، (مكتبة الأسد اليوم)، مجموع رقم ٣٨٢٤، الرسالة رقم ١٢، وعدد الأوراق ٣ ورقات (١٤٧ ـ ١٤٩)، وهي من رواية أبي دجانة أحمد بن إبراهيم عن ذي النون المصري.

ناسخها: عبد الرحمن بن يونس بن إبراهيم الأنصاري التونسي، كتبها بخط نسخ معتاد مقروء مضبوط بالشكل، وعليها قيد وقف الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن مسعود بن نفيس الموصلي(١). وكُتب على صفحة العنوان: «الحمد لله وحده، طالعه جميعه أحمد بن حسن بن

(١) هو الشيخ الإمام المحدِّث مفيد الجماعة أبو الحسن علي بن مسعود بن نفيس الموصلي ثم الحلبي ثم الدمشقي الحنبلي، وُلد سنة ٦٣٤هـ، وسمع من شيوخ عصره بمصر والشام وعني بالحديث عناية تامة، كان ديِّناً خيِّراً متعففاً، قرأ ما لا يوصف كثرة، وحصَّل أصولاً كثيرة كان يجوع ليبتاعها، عَدِم له منها شيء كثير في وقعة التتار وأوقف بقيتها. ولم يزل يقرأ ويفيد إلى آخر عمره، توفي في صفر سنة ٧٠٤هـ بالمارستان الصغير بدمشق ودفن بسفح قاسيون وله من العمر ٧٠ سنة. تذكرة الحفاظ ص ١٥٠٠، الدرر الكامنة ٣/ ١٢٩، شذرات الذهب ٦/ ١٠.

عبد الهادي[1] عفا الله عنهم بمنِّه وكرمه».

وقد أورد النصف الأول من هذه الرسالة ـ أي صفة المؤمن فقط ـ الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤١٩) في ترجمة ذي النون، وإن كان النص المنشور فيه الكثير من السقط والتحريفات إلاَّ أنه أفادني في تقويم بعض الكلمات والعبارات لتتناسب مع منهج المؤلف في سجعه وسبكه، وقد أشرت في التعليقات لبعض هذه الفروق.

ولمَّا كانت عبارات هذه الرسالة تختصر معاني كثيرة كان من المهم ضبط هذه العبارات ثم تفسير المراد من بعض ألفاظها وخاصة عند استعمالها في معنًى مجازي أو إشاري. ورغم أن كلماتها ضُبِط أكثرها بالشكل إلاَّ أن في العديد من الضبط ما يخالف المعتمد الصحيح في اللغة، لذا راجعت ما أمكن من هذه الألفاظ والكلمات في معاجم اللغة لضبط الاشتقاق والتصريف والأبواب، واكتفيت بتصحيح الشكل بالحركات إلاَّ ما كان مشكلاً أو يلتبس بالمتداول على الألسنة فضبطت كلماته بالحروف تبياناً لأمره.

---

(١) هو أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي القرشي العمري المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، يعرف بابن عبد الهادي، وُلد سنة ٧٦٧هـ. كان صالحاً ديِّناً خيِّراً قانعاً متعففاً من بيت صلاح وعلم ورواية، سمع من الشيوخ وأسمع وأفاد. توفي في رجب سنة ٨٥٦هـ، وصُلِّي عليه بجامع الحنابلة المظفري بدمشق، ودفن بالروضة بسفح قاسيون جوار الموفق ابن قدامة. الضوء اللامع ١/ ٢٧٣.

واللَّـهَ أسأل أن ينفع بهذه الرسالة قلباً واعياً أو ذهناً ثاقباً، سائلاً المولى عز وجل أن يرحم مؤلفها وراويها وناسخها وواقفها، وأن يتفضَّل علينا بقبول العمل، كما منَّ علينا بإتمامه، إنه عفوٌّ كريم، غفور رحيم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبـي الهدى، ومصباح الدجى، وعلى آله وصحبه ومَنْ بهديهم اقتدى.

وكتبه

الفقير إلى ربه بالكُلِّية

رمزي سعد الدين دمشقية

بحمدون في ٢٤/ ٥/ ١٤٢٣هـ

الموافق ٣ /٨/ ٢٠٠٢م

ترجمة المؤلف

هو أبو الفيض ثَوْبان بن إبراهيم الإخميمي[1]، معروف بذي النون المصري. وُلد في أواخر أيام المنصور نحو سنة ١٥٨هـ.

روى الحديث والعلم عن أئمة أعلام منهم: مالك بن أنس إمام دار الهجرة، والليث بن سعد شيخ الديار المصرية، والقاضي ابن لَهِيعة، والإمام الزاهد الفُضَيل بن عياض، والفقيه البارع سُفيان بن عُيَينة، وغيرهم.

قال ابن يونس في «تاريخه»: كان عالماً فصيحاً حكيماً.

وقال أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء»: العَلَم المضي والحَكَم المرضي، الناطق بالحقائق الفائق للطرائق، له العبارات الوثيقة والإشارات الدقيقة.

وقال ابن خلِّكان في «وَفَيات الأعيان»: كان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، وهو معدود من جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك.

---

(١) نسبة إلى إخميم، بلدة بصعيد مصر.

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ذو النون المصري الزاهد، شيخ الديار المصرية.

وقال عنه في «العِبَر في خبر مَنْ عَبَر»: ذو النون المصري الزاهد، أحد مشايخ الطريق...، وله مواعظ نافعة وكلام رفيع.

أصله من إخميم من بلاد النوبة، نزل مصر ثم حُمل إلى بغداد فأقام بها مدة ثم عاد إلى مصر. قدم الشام للسياحة، وطاف جبل لبنان ودخل دمشق.

وكان قد سُعِيَ به إلى الخليفة المتوكل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه، فبكى المتوكل وردَّه مكرماً. وكان المتوكل إذا ذُكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحي هلا بذي النون.

روى الخطيب في «تاريخ بغداد» عن الدارقطني قوله: روى عن مالك أحاديث في أسانيدها نظر.

ثم نقل عن الدارقطني أيضاً أنه سُئل عن ذي النون فقال: إذا صح السند إليه فأحاديثه مستقيمة وهو ثقة.

قال السُّلَمي: ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، وهجره علماء مصر، وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف.

وعن محمد بن الفَرْخي: كنتُ مع ذي النون في زورق، فمرَّ بنا زورق آخر، فقيل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلى السلطان يشهدون عليك بالكفر. فقال: اللّٰهم إن كانوا كاذبين فغرِّقهم. فانقلب الزورق



وغرقوا. فقلت له: فما بال الملاَّح؟ قال: لِمَ حملهم وهو يعلم قصدهم؟ ولأن يقفوا بين يدي الله غرقى خير لهم من أن يقفوا شهود زور. ثم انتفض وتغيَّر وقال: وعزتك لا أدعو على أحدٍ بعدها. ثم دعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده، فتكلم، فرضي أمره.

من كلامه وحكمه:

❑ قال ذو النون: الأنس بالله نور ساطع، والأنس بالناس غم واقع، فقيل له: ما الأنس بالله، قال: العلم والقرآن[1].

❑ وقال: تُنَال المعرفة بثلاث:

١ ـ بالنظر في الأمور كيف دبَّرها.

٢ ـ وفي المقادير كيف قدَّرها.

٣ ـ وفي الخلائق كيف خلقها[2].

❑ وسُئل عن المحبة، فقال: أن تحبَّ ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين، واتباع رسول الله ﷺ في الدِّين[3].

❑ وقال: بالعقول يُجتنى ثمر القلوب، وبحُسن الصوت تستمال أعنة الأبصار، وبالتوفيق تُنال الحظوة، وبصحبة الصالحين تطيب

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٧.

(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٣٩.

(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٩٤.

الحياة، والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكَّرك، وإن ذكرتَ أعانك[1].

❑ وقال: قل لمن أظهر حب الله احذر أن تَذلَّ لغير الله، ومن علامة المحبِّ لله أن لا يكون له حاجة إلى غير الله[2].

❑ وقال: طوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يُعمِ بصر قلبه الطمع، وكان محاسباً لنفسه فيما صنع[3].

❑ وقال: ما طابت الدنيا إلاَّ بذكره، ولا طابت الآخرة إلاَّ بعفوه، ولا طابت الجنان إلاَّ برؤيته[4].

❑ وقال: اجلس إلى من تُكلمكَ صفته، ولا تجلس إلى من يكلمك لسانه[5].

❑ ومن دعائه قال: إلـٰهي، الشيطان لك عدو ولنا عدو، ولن تغيظه بشيء أنكأ له من عفوكَ عنَّا، فاعف عنّا[6].

وقد استوفى أحوال ذي النون وكلامه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٣١ ــ ١٠/ ٤)، والحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٩٨ ــ ٤٤٢).

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٥٩.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٣.
(٣) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٣.
(٤) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٢.
(٥) حلية الأولياء ٩/ ٣٦٩.
(٦) حلية الأولياء ٩/ ٣٨٤.

وفاته :

مات ذو النون بالجيزة وعُدي به إلى مصر في مركب خوفاً من زحمة الناس على الجسر، وذلك سنة ٢٤٥هـ، وهو من أبناء التسعين. رحمه الله وأحسن مثواه.

من مصادر ترجمته :

ـ حلية الأولياء، لأبـي نعيم الأصبهاني ٩/ ٣٣١ ـ ١٠/ ٤ .

ـ تاريخ دمشق، لابن عساكر ١٧/ ٣٩٨ ـ ٤٤٢ .

ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٨/ ٣٩٣ ـ ٣٩٧ .

ـ وَفَيَات الأعيان، لابن خلّكان ١/ ٣١٥ ـ ٣١٨ .

ـ العبر في خبر مَنْ عَبَر، للحافظ الذهبـي ١/ ٣٥٠ .

ـ سير أعلام النبلاء، للذهبـي أيضاً ١١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٦ .

❑ ❑ ❑

فيه صفة المؤمن والمؤمنة

بخط عبد الرحمن بن يونس بن ابرهيم الانصاري القرشي
غفر الله لمن هذه صفته ولكاتبه ولقاريه ومستمعيه
والناظر فيه ولجميع المسلمين امين رب العالمين

وقف الحافظ نور الدين ابي الحسن علي بن سعود بن ... الموصلي

صورة غلاف المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد واله
قال ابو دجانة احمد بن ابراهيم قرات على ابي الفيض ذي
النون بن ابراهيم الاخميمي رحمه الله قال صفة المومن بشره في
وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيا صدرا واذل شيا نفسا
زجر عن كل آفة حاض على كل حسن لا حقود ولا حسود ولا
وثاب ولا سباب ولا عياب ولا مغتاب يكره الرفعة
ويشنا السمعة طويل الغم بعيد الهم كثير الصمت وقور
ذكور صبور شكور مغمور بفكرته مسرور بفقره
سهل الخليقة لين العريكة كثير الحياء رصين الوقار قليل
الاذى لا متانف ولا متهتك ان ضحك لم يخرق وان غضب
لم ينزق ضحكه تبسم واستفهامه تعلم ومراجعته
تفهم كثير علمه عظيم حلمه وثيق عزمه كثير رحمه
لا يبخل ولا يعجل ولا يضجر ولا يبطر ولا يحيف في حكمه
ولا يجور في علمه نيته اصلب من الحجر ومكادحته احلا
من الشهد لا خشع ولا هلع ولا عنيف ولا صلف ولا متعمق
ولا متكلف جميل المنازعة كريم المراجعة عدل ان
غضب رفيق ان طلب لا متهور ولا متجبر خالص
الود وثيق العهد وفي الوعد شفيق وصول حليم
حمول قليل الفضول راض عن الله عز وجل مخالف لهواه
لا يغلظ على من يوذيه ولا يخوض فيما لا يعنيه ان سب بدينا
لم يسب وان سال ومنع لم يغضب لا يتشمت لمصيبة

صورة الصفحة الأولى

إليها غفرت وإن آثر عليها صبرت تترضاه في
غضبه وتتوقاه في سخطه وتستوحش لغيبته
وتستأنس لرؤيته فقد فهمت عن الله ذكره
وعلمه فقامت فيه بحق فضله فعظم بذلك
فاقتها إليه ولم تجعل لها معولا إلا عليه فهو لها
سمع ولب وهي له بصر وقلب رحمها الله من مؤمنة
تمت والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله
كتب عبد الرحمن بن يونس التونسي مصليا ومسلما

صورة الصفحة الأخيرة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٣٤)



صفة المؤمن والمؤمنة

للعالم الزاهد الواعظ أبي الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميمي
المعروف بـ (ذي النون المصري)
المتوفى سنة ٢٤٥ هـ

اعتنى به
رمزي سعد الدين دمشقية

بسم الله الرحمن الرحيم

صلَّى الله على سيدنا محمد وآله

قال أبو دجانة أحمد بن إبراهيم: قرأتُ على أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم الإخميمي رحمه الله، قال:



- بِشْرُهُ في وَجْهِهِ، وحُزْنُهُ في قَلْبِهِ.
- أوسَعُ شَيءٍ[1] صَدْرَاً، وأذَلُّ شَيْءٍ[1] نَفْسَاً.
- زَجِرٌ[2] عن كُلِّ آفَةٍ، حَاضِرٌ على كُلِّ حَسَنٍ.
- لا حَقُودٌ، ولا حَسُودٌ.
- ولا وَثَّابٌ[3]، ولا سَبَّابٌ.
- ولا عَيَّابٌ، ولا مُغْتَابٌ.

---

(١) في الأصل: شيئاً، في الموضعين وهو خطأ.

(٢) في تاريخ ابن عساكر: زاجر، وكلاهما بمعنى.

(٣) أي لا يتطاول على غيره ولا يتعدى.

- يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ(١)، ويَشْنَأُ السُّمعَةَ(٢).
- طَويلُ الغَمِّ، بَعيدُ الهَمِّ.
- كَثِيرُ الصَّمْتِ، وَقُورٌ.
- ذَكُورٌ، صَبُورٌ، شَكُورٌ(٣).
- مَغْمُورٌ بِفِكْرِهِ، مَسْرُورٌ بِفَقْرِهِ.
- سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لَيِّنُ العَرِيكَةِ(٤).
- كَثِيرُ الحَيَا، صَيِّنُ الوَقَارِ، قَلِيلُ الأذى(٥).
- لا مُتَأَفِّكٌ(٦)، ولا مُتَهَتِّكٌ(٧).

---

(١) في الأصل: الوقيعة، وهي غيبة الناس، والتصحيح من ابن عساكر.

(٢) يشنأ السمعة: أي يكره الشهرة.

(٣) في حلية الأولياء لأبي نُعَيم الأصبهاني ٩/٣٤٣ بإسناده: قيل لذي النون المصري: يا أبا الفيض ما علامة إقبال الله عز وجل على العبد؟
قال: إذا رأيته صابراً شاكراً ذاكراً، فذلك علامة إقبال الله عز وجل على العبد.
قيل: فما علامة إعراض الله عن العبد؟
قال: إذا رأيته ساهياً [لاهياً] معرضاً عن ذكر الله فذاك حين يعرض الله عنه.
ثم قال: ويحك كفى بالمعرض عن الله وهو يعلم أن الله مقبل عليه وهو معرض عن ذِكره.

(٤) الخليقة: أي الطبيعة، ورجل ليِّن العريكة: سَلِسُ الخُلُق.

(٥) في الأصل: الأذاء، والتصحيح من ابن عساكر.

(٦) في الأصل: متأنف، والتصحيح من تاريخ دمشق. والمتأفك: الذي يصطنع الكذب.

(٧) المتهتك: هو الذي لا يبالي أن يهتك ستره.

❑ إنْ ضَحِكَ لم يَخْرَق[1]، وإنْ غَضِبَ لم يَنْزَق[2].

❑ ضَحِكُهُ تَبَسُّمٌ، واسْتِفْهَامُهُ تَعَلُّمٌ[3]، وَمُرَاجَعَتُهُ تَفَهُّمٌ.

❑ كَثِيرٌ عِلْمُهُ، عَظِيمٌ حِلْمُهُ.

❑ وَثِيقٌ عَزْمُهُ، كَثِيرٌ رُحْمُهُ[4].

❑ لا يَبْخَلُ، ولا يَعْجَلُ.

❑ ولا يَضْجَرُ، ولا يَبْطَرُ[5].

❑ ولا يَحِيْفُ في حُكْمِهِ[6]، ولا يَحُورُ[7] في عِلْمِهِ.

❑ نِيَّتُهُ أَصْلَبُ مِنَ الحَجَرِ، ومُنَادَمَتُهُ[8] أَحلى مِنَ الشَّهْدِ.

---

(١) أي: إن ضحك لم يضحك ضحك الأحمق، ويَخْرَق بمعنى يحمق، وبابه طَرِب.

(٢) أي: لا يطيش صوابه عند الغضب.

(٣) في الأصل: بعلم، والتصحيح من ابن عساكر.

(٤) يقال: ما أقرب رُحْمَ فلان، إذا كان ذا مرحمة وبِرٍّ، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾.

(٥) فهو لا يتبرم إن ضُيِّق عليه رزقه، ولا يطغى إن وُسِّع عليه.

(٦) أي: لا يظلم في حكمه.

(٧) في الأصل: يجور، بالجيم. ولا تتناسب مع العلم فلعل الصحيح ما أثبته. والحور: الرجوع والتردد، فعِلْمُ المؤمن ثابت لا يتغير.

(٨) في الأصل: مكادحته، والتصحيح من تاريخ دمشق.

- لا خَشِـعٌ[1]، ولا هَلِـعٌ[2].
- ولا عَنِفٌ، ولا صَلِفٌ[3].
- ولا مُتَعَمِّقٌ، ولا مُتَكَلِّفٌ[4].
- جَمِيلُ المُنَازَعَةِ، كَرِيْمُ المُرَاجَعَةِ.
- عَدْلٌ إنْ غَضِبَ، رَقِيقٌ إنْ طَلَبَ.
- لا مُتَهَوِّرٌ، ولا مُتَجَبِّرٌ.
- خَلِيصُ الوُدِّ، وَثِيقُ العَهْدِ[5]، وَفِيُّ الوَعْدِ.
- شَفِيقٌ، وَصُولٌ، حَلِيمٌ.
- حَمُولٌ[6]، قَلِيلُ الفُضُولِ.
- رَاضٍ عَنِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، مُخَالِفٌ لِهَوَاهُ.
- لا يَغْلُظُ عَلى مَنْ يُؤذِيهِ، ولا يَخُوضُ فيمَا لا يَعْنِيهِ.
- إنْ سُبَّ بَدِيهاً لم يَسُبَّ[7]، وإنْ سَأَلَ ومُنِـعَ لَمْ يَغْضَب.

---

(١) في تاريخ دمشق: جَشِـع.

(٢) أي: لا ذليل خضوع، ولا جزوع ضجور.

(٣) الصلف: الزيادة على المقدار مع تكبر.

(٤) التعمق في الكلام: التنطُّع، والمتكلف: المتعرِّض لما لا يعنيه.

(٥) أي: مخلص في حبه، محكم في أموره وما يكلفه.

(٦) حمول: ذو حِلْم.

(٧) أي: إنه بعيد عن السباب طبعاً، فلو فوجىء بمن يَسبه لم يجبه.

- لا يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ، ولا يَذْكُرُ أَحداً بغِيْبَةٍ.
- كَثِيرُ الفَضْلِ، رَحِيْبٌ[1].
- سَهْلٌ، لَيِّنُ الجَنَاحِ.
- صَدُوقُ اللِّسَانِ، عَفِيفُ الطَّمَعِ.
- خَفِيفُ المَؤُونَةِ، كَثِيرُ المَعُونَةِ.
- وَرِعٌ عَنِ المُحَرَّمَاتِ، وَقَّافٌ عَنِ الشُّبُهَاتِ.
- عَظِيمُ الشُّكْرِ عَلى البَلاءِ، طَوِيلُ الصَّبرِ عَلى الأَذَىٰ.
- غَزِيرٌ خَيْرُهُ، قَلِيلٌ شَرُّهُ.
- إنْ سُئِلَ أَعْطَىٰ، وإنْ ظُلِمَ عَفَا.
- وإنْ مُنِـعَ بَذَلَ، وإنْ قُطِـعَ وَصَلَ.
- مُمْتَحِنٌ لِقَلْبِهِ، مُسْتَأْثِرٌ لِرَبِّهِ[2].
- أَدْمَثُ مِنَ الزُّبَدِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الشَّهْدِ، وَأَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ[3].
- يَأْنَسُ مِنَ البَلَاءِ بِمَا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ أَهلُ الدُّنيا[4].

---

(١) رحيب: أي واسع الصدر والخُلُق واليد.

(٢) في الأصل: مستهتَر بربّه، أي: مُوْلَع به، والتصحيح من ابن عساكر. ومعنى مستأثر لربه: أي هو خالص لله.

(٣) الصلد: الصلب الأملس الشديد. فالمؤمن دمث الخُلُق، ليِّنٌ، قويٌّ في دين الله.

(٤) وفي حلية الأولياء ٩/٣٣٦ بالإسناد: قال ذو النون: اعتلَّ رجل من إخواني =

- أَمَّارٌ بِالحَقِّ، نَهَّاءٌ بالصِّدْقِ.
- غَضَّابٌ لله، مُسْرِعٌ في رِضَاهُ.
- قَادِحٌ لِعِلْمِهِ، مُزَوِّلٌ[1] لأَمَلِهِ، مُنَزِّلٌ لأَجَلِهِ.
- قَدْ عَلِمَ هَوَانَ صِغَرِهِ، وَعَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ.
- فَشَنأَ كِبْرَهَا[2]، ومَقَتَ عِزَّهَا.
- وألزَمَهَا كُلَّ ذِلَّةٍ، وبَوَّأَهَا كُلَّ مِهْنَةٍ.
- نَاصِرٌ لِلدِّينِ، مُحَامٍ عَنِ المُسْلِمِيْنَ[3]، كَهْفٌ لِلْمَسَاكِيْنَ[4].
- لا يَخْرِقُ الثَّنَاءُ سَمْعَهُ، ولا يَنْكَأُ الطَّمَعُ قَلْبَهُ[5].

= فكتب إليَّ: أن ادعو الله لي.

فكتبت إليه: سألتني أنْ أدعو الله لكَ أن يزيل عنكَ النِّعم.

واعلم يا أخي أنّ العلَّة مَجْزلة ـ (عطاء) ـ يأنس بها أهل الصفا والهمم، والضياء في الحياة ذِكرُكَ للشفاء. ومَنْ لم يعدَّ البلاء نعمة فليس من الحكماء. ومَنْ لم يأمن التشفيق على نفسه فقد أمِنَ أهل التهمة على أمره، فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى، والسلام.

(١) في هامش المخطوط: في نسخة (مزوٍ).

(٢) أي: أبغض عظمتها.

(٣) في ابن عساكر: المؤمنين.

(٤) أي: ملجأ لهم. وفي ابن عساكر: للمسلمين.

(٥) أي: لا يشق المديح سمعه فيطغيه، ولا يدخل الطمع قلبه فيعميه. ويَخْرِق بمعنى يشق، وبابه ضَرَب.

- ولا يَقْرَبُ الغَضَبُ حِلْمَهُ، ولا يَظْلَعُ[1] الجَهْلُ عِلْمَهُ، ولا تُقِلُّ المُلِمَّاتُ عَزْمَهُ.
- قَوَّالٌ، [عَمَّالٌ][2].
- عَالِمٌ، حَازِمٌ.
- لا بِفَحَّاشٍ، ولا بِطَيَّاشٍ[3].
- هَؤُولٌ في غَيرِ عُنْفٍ[4]، بَذُولٌ في غَيرِ سَرَفٍ.
- كَثِيرٌ عِلْمُهُ، قَلِيلٌ جَهْلُهُ.
- لَا يَقْتَفِي أَثَراً[5]، ولا يَحْتَقِرُ بَشَراً.
- رَفِيقٌ بالخَلْقِ، سَرَّاحٌ في الأَرْضِ.
- عَوْنٌ لِلضَّعِيفِ، وغَوْثٌ للمَلْهُوفِ[6].
- لا يَهتِكُ سِتْراً، ولا يَكْشِفُ سِرّاً.
- كَثِيرُ البَلْوىٰ، قَلِيلُ الشَّكْوَىٰ.

---

(١) في الأصل: يطلع، بالطاء المهملة. وكأن الصحيح: يظلع بالظاء المعجمة، بمعنى غمز.

(٢) زيادة من تاريخ دمشق.

(٣) الفحش: ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي. والطيش: قلة العقل.

(٤) أي: يخيف دون أن يؤذي.

(٥) أي: لا يتتبَّع زلات الناس وعيوبهم.

(٦) أي: يعين المظلوم.

- إنْ رَأى خَيْراً ذَكَرَهُ، وإنْ عَلِمَ شَرّاً سَتَرَهُ.
- يَسْتُرُ العَيْبَ، [ويَحْفَظُ الغَيْبَ](1).
- وَيُقِيلُ العَثْرَةَ، ويَغْفِرُ الزَّلَةَ.
- لَا يَطَّلِعُ على نُصْحٍ فيَذَرَهُ، ولا يرَىٰ جُنْحَ حُمُقٍ فيَصِلَهُ(2).
- أَمينٌ، [رَصِينٌ](3).
- [نَقِيٌّ](4)، تَقِيٌّ.
- زَكِيٌّ(5)، رَضِيٌّ.
- طَوِيلُ الصَّمتِ في غَيْرِ عِيٍّ(6).
- يَقْبَلُ العُذْرَ، وَيَحْمِلُ(7) الذِّكْرَ.
- ويُحَسِّنُ بالنَّاسِ ظَنَّهُ(8)، ويَتَّهِمُ على العَيْبِ نَفْسَهُ.

---

(1) زيادة من تاريخ دمشق.

(2) بمعنى أنه لو عرف في فعله مَيْل إلى حماقة انصرف عنه. وفي تاريخ دمشق: جنح حيف، بمعنى ميل إلى الظلم.

(3) زيادة من ابن عساكر في تاريخ دمشق.

(4) زيادة من ابن عساكر في تاريخ دمشق.

(5) زكي: أي صالح.

(6) أي: صمته ليس عن عجز في البيان؛ بل وقاراً وتقللاً.

(7) في الأصل: يجمل، بالجيم، والتصحيح من تاريخ دمشق. والمعنى: يرفع ذكر مَنْ أحسن إليه ويظهره.

(8) في الأصل: الظن، والتصحيح من ابن عساكر.

❑ يُحِبُّ في اللَّـهِ بفِقْهٍ وعِلْمٍ، ويَقْطَعُ في اللَّـهِ بَحَزْمٍ وَعَزْمٍ.

❑ ولا يَخْرَقُ بِهِ فَرَحٌ، ولا يَطِيْشُ بِهِ [تَرَحٌ][1].

❑ خِلْطَتُهُ فُرجَةٌ، ورُؤيَتُهُ حُجَّةٌ.

❑ صَفَّاهُ العِلْمُ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ نكِدٍ، كَمَا تُصَفِّي[2] النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ.

❑ لا يُشِيْرُ بِمِنَّةٍ، ولا يَمُنُّ بِنِعْمَةٍ.

❑ مُذَكِّرٌ لِلغَافِلِ، مُعَلِّمٌ لِلجَاهِلِ.

❑ لا يُتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةٌ، ولا يُخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ[3].

❑ كُلُّ سَعْيٍ عِنْدَهُ أَصْلَحُ مِنْ سَعْيِهِ، وكُلُّ نَفْسٍ عِنْدَهُ أَصْلَحُ مِنْ نَفْسِهِ.

❑ عَالِمٌ بَعَيْبِهِ، مَشْغُولٌ بِغَمِّهِ[4]، لا يُفِيقُ لِغَيرِ رَبِّهِ.

❑ شَهِيدٌ[5]، وَحِيدٌ.

---

(١) في الأصل: فرح، مكررة، والتصحيح لما يناسب السياق. والمعنى أنَّه لا يفرح فرح الأحمق، ولا يذهب عقله إنْ حَلَّ به حزن، فهو معتدل المزاج في كل أحواله.

(٢) في الأصل: يصفي، والتصحيح من تاريخ دمشق.

(٣) أي: لا يُخاف منه شر وفساد، والبائقة والغائلة: بمعنى الداهية.

(٤) في الأصل: شاغل عن نفسه، والمثبت من تاريخ دمشق.

(٥) في تاريخ دمشق: فريد، وهي محتملة.

❑ قَرِيبٌ، غَرِيبٌ.

❑ يُحِبُّ اللَّـهَ، ويُجَاهِدُ لِيَبْتَغِي رِضَاهُ.

❑ ولا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، ولا يُوَالِي في سَخَطِ رَبِّهِ.

❑ مُخَالِطٌ لأَهلِ الذِّكْرِ، مُجَالِسٌ لأَهلِ الصِّدْقِ، مُؤْثِرٌ لأَهلِ الحَقِّ.

❑ عَوْنٌ لِلغَرِيبِ، أَبٌ لِليَتِيمِ.

❑ بَعْلٌ لِلأَرْمَلَةِ، حَفِيٌّ[1] بأَهلِ المَسْكَنَةِ.

❑ مَرْجُوٌّ لِكُلِّ كُرْبَةٍ، مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ.

❑ هَشَّاشٌ، بَشَّاشٌ.

❑ لا بِعَبَّاسٍ، ولا جَسَّاسٍ[2].

❑ مُحِبٌّ، صَادِقٌ.

❑ كَظَّامٌ، بَسَّامٌ[3].

❑ دَقِيقُ النَّظَرِ، عَظِيمُ الخَطَرِ[4].

❑ جَائِلٌ مُمَلْمَلٌ، سَاكِنٌ مُقَلْقَلٌ[5].

---

(١) الحفي: اللطيف الرقيق.

(٢) أي: لا يقطِّب بين عينيه، ولا يُحدُّ النظر.

(٣) كظام: أي يحبس غيظه ويرده.

(٤) الخطر: ارتفاع القَدْر والمنزلة، ويقال إنه لعظيم الخطر: في حُسْن أفعاله وشرفه.

(٥) وقفتُ طويلاً أمام هذه العبارة، سيما بعد مراجعتها في المعاجم دون أن أدرك ما يريده المؤلف بالتحديد. ثم سألت عنها بعض الأفاضل ممن جمعتنا بهم مجالس صيف هذا العام، فاجتمع الرأي أنه قد يُراد منها: =

❑ مَعْرُوفٌ في أَرضِهِ، غَرِيبٌ في أَهلِهِ، مُبغَضٌ في جَمعِهِ[١].

❑ مغيث.

رحمه الله

❑ ❑ ❑

= أنَّ المؤمن في حال حركته وسكونه يبقى مضطرباً قلقاً من المصير مشفق منه مع الطمأنينة بالله.

ومعنى جائل: أي يطوف البلاد ولا يستقر، وململ الرجل: أي أسرع، ومقلقل: أي متحرك.

وممن سألته عن هذه العبارة اللغوي الأديب والنحوي الأريب الدكتور مازن المبارك حفظه الله فكتب إليَّ مشكوراً مأجوراً بالتالي: «قلقل وململ، فِعلان المعنى العام لهما واحد وهو الحركة، ولكن (قلقل) لحركة الأشياء الماديَّة كالحجر والعمود والمسمار والجسم، فكلٌّ منها يمكن أن يكون مقلقلاً، أي: مهتزًّا متحركاً غير ثابت. وأما (ململ) فلحركة الأشياء المعنوية كالنفس والروح التي تتقلب كل منهما ضيقاً وملَلاً».

فلعل بما تقدم يتضح بعض ما أراده المؤلف، والله أعلم.

(١) مبغَض في جمعه: أي يبغضه الناس حسداً لتفوقه أو لنصحه لهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾.



صِفَةُ المؤمنة

- نَاظِرَةٌ في عَيْبِهَا، مُفَكِّرَةٌ في ذَنْبِهَا، مُقْبِلَةٌ على رَبِّها.
- خَفِيٌّ صَوْتُها، كَثِيرٌ صَمْتُهَا.
- لَيِّنَةُ الجَنَاحِ، عَفِيفَةُ اللِّسانَ.
- ظَاهِرَةُ الحَيَاءِ، وَرِعَةٌ عن الخَنَاءِ[1].
- وَاسِعَةُ الصَّدرِ، عَظِيمَةُ الصَّبْرِ.
- قَلِيلَةُ المَكْرِ[2]، كَثِيرَةُ الشُّكْرِ.
- نَقِيَّةُ الجَيْبِ[3]، طَاهِرَةٌ مِنَ العَيْبِ.
- حَيِيَّةٌ، كَرِيمَةٌ.

---

(١) الخنا: الفحش في الكلام.

(٢) المكر: الخديعة. وقليلة المكر: بمعنى لا مكر لها. في المعجم الوسيط (ص٧٨٦): قد يعبّر بالقليل عن العدم، فيقال: رجل قليل الخير: لا يكاد يفعله.

(٣) جيب القميص: ما يدخل منه الرأس عند لبسه، ولعل المقصود: لا تحمل في صدرها غِلًّا لأحد.

- رَضِيَّةٌ، زَكِيَّةٌ.
- رَزِينَةٌ، نَجِيبَةٌ[1].
- سَهْلَةُ الخُلُقِ، رَقِيقَةٌ، رَفِيقَةٌ.
- بَرِيَّةٌ مِنَ الكَذِبِ، نَقِيَّةٌ مِنَ العُجْبِ[2].
- تَارِكَةٌ لِلقَذَى[3]، زَاهِدَةٌ في الدُّنيَا.
- سَاكِنَةٌ، حَازِمَةٌ.
- سَتِّيرَةٌ، خَفِرَةٌ[4].
- لا مُتَفَاكِهَةٌ، ولا مُتَهَتِّكَةٌ[5].
- قَلِيلَةُ الحِيَلِ، وَثِيقَةُ العَمَلِ[6].
- رَحِيمَةُ القَلْبِ، خَلِيصَةُ الوُدِّ.
- إنْ زُجِرَتِ انْزَجَرَت، وإنْ أُمِرَتِ ائتَمَرَت.
- تَشْنَأُ الصَّلَفَ[7]، وتَبغُضُ السَّرَفَ.

---

(١) رزينة: أي ذات وقار وعفاف. النَّجابة: النباهة وظهور الفضل على المثل، ونجيبة: بمعنى كريمة الأصل ظاهرة الفضل.

(٢) برية: بمعنى بريئة. والعجب: الكِبْر.

(٣) أي: تاركة لكل ما يُكره.

(٤) أي: تحب الستر عفيفة. وخفرة: أي شديدة الحياء.

(٥) أي: لا تقضي وقتها في اللعب واللهو.

(٦) قليلة الحيل: أي لا تصدر منها خديعة. ووثيقة: أي محكمة العمل.

(٧) أي: تكره الادعاء والتكبر.

- وتكْرَهُ المَكْرُوهَ، وتَمقُتُ الفَخْرَ.
- وَتَتَفَقَّدُ نَفسَهَا بِطِيْبِ النِّسَاءِ: الكُحْلِ والمَاءِ.
- قَنُوعٌ بِالكَفَافِ[1]، واستِتَارٌ بِالعَفَافِ.
- لَهَا رَحْمَةٌ بِالأَهْلِ، ورِفْقٌ بالبَعْلِ.
- تَضَعُ لَهُ خَدَّهَا[2]، وتَخْلُصُ[3] لَهُ وُدَّهَا.
- وتُمَلِّكُهُ نَفْسَهَا، ولا تَمْلأُ مِنْهُ طَرْفَهَا[4].
- وتَتْرُكُ لأَمْرِهِ أَمْرَهَا، وتُخرج لآرَائِهِ رأيَهَا.
- وتُوَكِّلُهُ عَلَى نَفسِهَا، وتأْمَنُهُ عَلَى سِرِّهَا.
- وتُصْفِيه غَايَةَ الحُبِّ، وتُؤْثِرُهُ عَلَى الأُمِّ والأَبِ.
- لا تَلْفِظُ بِعَيْبِهِ، ولا تُخْبِرُ بِسِرِّهِ.
- تُحَسِّنُ أَمرَهُ، وتَتَبَّعُ سُرُورَهُ[5].
- ولا تَجْفُوهُ في عُسْرِهِ، ولا تَقْلاهُ في فَقْرِهِ[6].

---

(١) الكفاف من الرزق: ما كان مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان. ومنه الحديث: «اللّهم اجعل رزق آل محمد كَفَافاً»، رواه مسلم (ح ١٠٥٥).

(٢) أي: تتواضع له.

(٣) خَلَص الشيء: صار خالصاً، وبابه دَخَل يَدخُل.

(٤) فهي قاصرة الطرف لشدة حيائها.

(٥) التتبُّع: طلب الأمر شيئاً بعد شيء في مُهلة. أي تطلب سروره مرة بعد مرة.

(٦) وفي هذا المعنى ما ورد عن سَمُرة بن جُنْدُب قال: سمعتُ عمر بن الخطاب =

- بَلْ تَزِيدُ في الفَقْرِ وُدّاً، وعَلَى الافتِقَارِ حُبّاً.
- تَلْقَىٰ غضَبَهُ بِحِلْمٍ وصَبْرٍ، وتَلْقَىٰ مُعَاشَرَتَهُ بِوُدٍّ وشُكْرٍ.
- إنْ أَسَاءَ إلَيْهَا غفَرَتْ، وإنْ آثَرَ عَلَيْهَا صَبَرَتْ.
- تتَرَضَّاهُ في غَضَبِهِ، وتَتَوقَّاهُ في سَخَطِهِ.
- وتَسْتَوْحِشُ لِغَيْبَتِهِ، وَتَسْتَأْنِسُ لِرُؤْيَتِهِ.
- قَدْ فَهِمتْ عَنِ اللهِ ذِكْرَهُ وَعِلْمَهُ، فَقَامَت فِيهِ بِحَقِّ فَضْلِهِ[(١)].
- فَعَظُمَ بِذَلِكَ فَاقَتُهَا إليهِ، ولَمْ تَجْعَلْ[(٢)] لها مُعَوَّلاً إلاَّ عَلَيْهِ.
- فَهُوَ لَهَا سَمْعٌ ولُبٌّ، وهِيَ لَهُ بَصَرٌ وقَلْبٌ.

رحمها الله من مؤمنة

= يقول: النساء ثلاثة:

١ ــ امرأة: عاقلة مسلمة عفيفة هيِّنة لينة ودود ولود، تعينُ أهلها على الدَّهر، ولا تعين الدهرَ على أهلها، وقليلاً ما تجدها.

٢ ــ وأخرى: وعاءٌ للولد لا تزيد على ذلك.

٣ ــ وأخرى: غُلٌّ قَمِلٌ يجعله الله في عنق من يشاء، ثم إذا شاء أن ينزعه نزعه. بهجة المجالس ٣/ ٣١.

وغل قمل: مثل يضرب للمرأة السيئة الخُلق، وأصله أن العرب كانوا يغلون الأسير بالقدّ ــ أي الجلد ــ وعليه شعر، فإذا طال القدّ عليه قمل في عنقه، فتجتمع عليه محنتان: الغل والقمل. وضربه مثلاً للمرأة السيئة الخلق الكثيرة المهر، لا يجد بعلها منها مخلصاً. ينظر: مجمع الأمثال ٢/ ٦، لسان العرب ١١/ ٥٠٤.

(١) أي: بما أوصى الله به المرأة في حق زوجها.

(٢) في الأصل: يجعل، والمثبت أنسب للسياق.

تمَّت والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله

كتب عبد الرحمن بن يونس

التونسي مصلِّياً ومسلِّماً(١)

---

(١) تمت قراءة هذه الرسالة ليلة ٢٣ رمضان المبارك في صحن المسجد الحرام تجاه الركن اليماني في موضعنا المعتاد، بمتابعة الأخ الشيخ نظام اليعقوبي على المخطوط وبسماع ومتابعة الدكتور الفاضل عبد الله محارب والأخ العزيز البحَّاثة الدكتور قاسم علي سعد، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على رسوله المصطفى، وآله وصحبه وكفى.

❑ وتمت قراءتها على شيخنا الفاضل العلامة البارع محمد كريِّم راجح شيخ قراء الشام، ثم على الأستاذ الأديب والخطيب المِسْقَع الشيخ هشام الحمصي، في مجلسين بمنزلنا الصيفي ببلدة بحمدون من جبل لبنان، بحضور عدد من الأحبة الكرام، وذلك في شهر جمادى الآخرة من عام ١٤٢٣هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه

مصليًا ومسلماً على خير البَرِيَّة

رمزي سعد الدين دمشقية

المصادر والمراجع

١ ــ بهجة المجالس، لابن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية ــ بيروت.

٢ ــ تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزَّبيدي، المطبعة الخيرية ــ مصر.

٣ ــ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٤ ــ تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر، دار الفكر ــ بيروت.

٥ ــ تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي، طبعة محمد أمين دمج.

٦ ــ ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي.

٧ ــ حِلْية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ــ بيروت.

٨ ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الجيل ــ بيروت.

٩ ــ سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة ــ بيروت.

١٠ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة ــ بيروت.

١١ ــ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.



١٢ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للحافظ السخاوي، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
١٣ ـ العبر في خبر من عَبَر، للحافظ الذهبـي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٤ ـ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٥ ـ مجمع الأمثال، للميداني، المطبعة البهية ـ القاهرة، ١٣٤٢هـ.
١٦ ـ مختار الصحاح، للرازي، دار اليمامة ـ دمشق.
١٧ ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ـ القاهرة.
١٨ ـ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر ـ بيروت.
١٩ ـ وَفَيات الأعيان، لابن خلِّكان، دار صادر ـ بيروت.

• • •